

﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ
إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: 82]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مِنْ شَأْنِ
الْمُنْعَمِينَ فِي
الشَّهَوَاتِ،
إِخْرَاجُ مَنْ لَا
يُشَارِكُهُمْ فِيهَا

لَمَّا كَانَ كَأَنَّهُ قِيلَ: هَذَا التَّقْرِيعُ يوجبُ غَايَةَ الاستحياء، بل إِنَّهُ يُذْهِبُ كُلَّ مَنْ سَمِعَهُ مِنْهُمْ إِلَى مَكَانٍ لَا يَعْرِفُ فِيهِ سِتْرًا لِحَالِهِ، فَمَا كَانَ حَالُهُمْ عِنْدَهُ؟ فَقِيلَ: أَجَابُوهُ بِوَقَاحَةٍ عَظِيمَةٍ وَفُجُورٍ زَائِدٍ عَلَى الْحَدِّ، فَمَا كَانَ جَوَابُهُمْ إِلَّا أَذَى لُوطٍ ﷺ وَآلِهِ بِمَا اسْتَحَقُّوا مِنْهُمْ بِهِ شَدِيدَ الْإِنْذَارِ الَّذِي هُوَ مَقْصُودُ السُّورَةِ، وَأَيْضًا لَمَّا أَنْكَرَ عَلَيْهِمُ الْفَاحِشَةَ وَعَظَّمَ أَمْرَهَا، وَأُفْجِمُوا عَنِ الْمَجَادَلَةِ فِي شَأْنِ فَاحِشَتِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا جَوَابًا بَادِرُوا بِشَيْءٍ لَا تَعْلُقُ لَهُ بِكَلَامِهِ، فَتَأَمَّرُوا عَلَى إِخْرَاجِ لُوطٍ ﷺ وَأَهْلِهِ مِنَ الْقَرْيَةِ فَقَالَ: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾⁽¹⁾.

❁ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

- (1) ﴿أَنَاسٌ﴾: النَّوَسُ: تَذْدِبُ الشَّيْءِ، نَاسٌ يَنُوسُ نَوْسًا، وَأَصْلُ النَّاسِ: أَنَاسٌ، إِلَّا أَنَّ الْأَلْفَ حُذِفَتْ مِنَ الْأَنَاسِ، فَصَارَتْ: نَاسًا، وَسَمِّيَ ذُو نَوَاسٍ؛ لِدَوَابَّتَيْنِ كَانَتَا عَلَيْهِ تَتَحَرَّكَانِ⁽²⁾، وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْيَمِهِمْ﴾ [الإسراء: 71]، وَقَالَ لَبِيدُ: وَكُلُّ أُنَاسٍ سَوْفَ تَدْخُلُ بَيْنَهُمْ *** دَوِيهِيَّةٌ تَصْفُرُ مِنْهَا الْأُنَامِلُ⁽³⁾
- (2) ﴿يَّتَطَهَّرُونَ﴾: يَدْوُرُ الْمَعْنَى الْمَحَوْرِي لِلطَّهْرِ عَلَى نَقَاءِ الشَّيْءِ

(1) أَبُو حَتَّىان، الْبَحْرُ الْمَحِيطُ: 5/101، وَابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 8/234.

(2) الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، كِتَابُ الْعَيْنِ: (نَسُو).

(3) دِيوَانُ لَبِيدٍ، ص: 256، وَالْقَلْبُ وَالْإِبْدَالُ (الْكَنْزُ اللَّغَوِيُّ)، ص: 11، وَشَرْحُ الْفَضْلِيَّاتِ، ص: 766،

وَالْأَضْدَادُ، ص: 292، وَأَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ، الزَّاهِرُ فِي مَعَانِي كَلِمَاتِ النَّاسِ: 2/301.

مِمَّا يُتَأَذَى بِهِ، أَوْ انْقِطَاعِ قَذَى الشَّيْءِ. وَالطُّهْرُ: نَقِيضُ النَّجَاسَةِ، وَيُطْلَقُ الطُّهْرُ عَلَى الطُّهْرِ مِنَ الْقَبَائِحِ الْمَادِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ، وَرَجُلٌ طَاهِرٌ الشَّيْبُ؛ أَي: مُنَزَّهُ عَنِ الْعُيُوبِ وَالْفُسَادِ، وَتَطَهَّرَ أبلغُ مِنْ طَهَرَ؛ لِأَنَّهُ يَجْمَعُ الطَّهَارَةَ كُلَّهَا، وَالتَّطَهَّرَ: التَّنَزُّهُ عَنِ الْأَدْنَسِ، وَالْكَفُّ عَنِ الْإِثْمِ وَمَا لَا يُحْمَدُ، وَكُلُّ مَا فِي الْقُرْآنِ مِنَ اللَّفْظِ وَمَشْتَقَّاتِهِ، هُوَ مِنَ الطَّهَارَةِ بِمَعْنَى النِّقَاءِ مِنَ الْقَبَائِحِ الْمَادِّيَّةِ أَوِ الْمَعْنَوِيَّةِ⁽¹⁾، وَمَعْنَى: ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ في هذا السِّياقِ: يَتَنَزَّهُونَ عَنِ إِيْتَانِ الذُّكْرَانِ⁽²⁾.

❁ المعنى الإجمالي:

وما كان جواب قوم لوطٍ للوط، حين أنكر عليهم فعلهم القبيح، وركوبهم ما حرم الله عليهم من العمل الخبيث، إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطاً وأهل دينه من بلادكم، إن لوطاً ومن تبعه أناسٌ يتنزهون عما نفعه نحن، من إتيان الرجال في الأدبار⁽³⁾، "فكان إخراج لوطٍ ومن معه من القرية، تنفيذاً لإرادة الله، لأنه تعالى دمر قوم لوط، وأهلكهم بعد خروج لوطٍ والمؤمنين"⁽⁴⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة الوصل بالواو في قوله: ﴿وَمَا كَانَ﴾:

لما كان قوله: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ معطوفاً على قوله: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ دل على أن التقدير: (وإذ ما كان جواب قومه)⁽⁵⁾، ف(إذ) بتقدير أن تكون في حيز الجملة؛ إشعاراً بعظيم فحش قولهم وقبحه، وتعجباً من جوابهم، كأن في الكلام حذفاً بلاغياً مبسوطةً

مَا أَفْجَمَ
الْفَاسِقُونَ عَنِ
الْمُجَادَلَةِ، ابْتَدَرُوا
بِالتَّأْمُرِ عَلَى
إِخْرَاجِ الْمُؤْمِنِينَ

قَبِيحُ الْجَوَابِ
وَعَرِيبُهُ، مِنْ
قَبِيحِ الْفَعْلِ
وَمَرِيبِهِ

(1) الأزهرّي، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، والتزاعب، للفردات، وجبل، للعجم الاشتقاقيّ المؤصل: (طهر).

(2) ابن جرير، جامع البيان: 306/10.

(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/549.

(4) أسعد حومد، أيسر التفاسير: 12/549.

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 8/234.

يكشفُ عن تعجّبهم من وصف شهواتهم تلك الخبيثة بالفاحشة، بل هي إسرافٌ في الفاحشة، فلم يجدوا أيَّ جوابٍ سوى هذا الذي سمّاه القرآن جوابًا، تهكّمًا بهم، وهو غاية العجزِ عن الحوار، فالعاجزُ عن الحوار يستخدمُ الفعلَ دليلًا على العجز.

دلالة إسناد الإخراج إلى ضمير الجمع في: ﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾:

دلّ الظاهرُ وسياقُ المقال على أنّهم إنّما سعوا في إخراج مَنْ نهاهم عن العملِ الذي يشتهونه ويريدونه، وهو لوطٌ ﷺ وأهله، فالعائدُ محذوفٌ علِمَ من السّياق⁽¹⁾، والتّعبيرُ بالضميرِ بالضميرِ هنا مُليحٌ بيغضهم الشّدِيد لذكر اسمِ مَنْ نهاهم وأهله، وكأنّه يكشفُ عن أمانيتهم في أن يغربَ ناهوهم عن وجوههم، وأن يكونوا غيبًا، لأنّ النّهي كان مقرونًا بالتّشنيع والتّبشيع: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۝٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ۝٨١﴾ [الأعراف: 80 - 81]، وهو أخفُّ ممّا اقترن به النّهي في سورة النمل: ﴿أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ۝٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝٥٥﴾ [النمل: 54 - 55]، لذا جاء هناك بالاسم الظاهر: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ ۝٥٦﴾ [الأنعام: 56]؛ ليناسب كلُّ سياقه الوارد فيه.

سرّ تسميّة غير الجواب جوابًا:

لَمَّا أَنْكَرَ لُوطٌ ﷺ على قومه الفاحشة، وعظّم أمرها، ونسبهم إلى الإسرافِ، لم يأتوا بما يكون جوابًا عن كلام لوطٍ ﷺ، ولكنهم قابلوا نصحه بما لا تعلّق له بكلامه، وهو الأمرُ بإخراجه هو ومن معه من المؤمنين من قريتهم ﴿قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ﴾، ولجوا في الاستهزاء بهم؛ ضجرًا بهم، وبما يسمعونهم من وعظهم ونصيحهم،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 14/314، والنّيسابوري، غرائب القرآن: 3/280، وابن عاشور، التّحريم والتّنوير: 8/235.

الكره والبغض
إذا استبدّا
بالنفس، غيبًا
من كان سببًا
فيهما

العجز عن
الجواب كشفًا
عن مباينة
الإنصاف

والمعنى: ما كَانَ لَهُمْ جَوَابٌ إِلَّا هَذَا الْقَوْلُ الْمُبَينَ لِلْإِنصَافِ، الْمُخَالَفَ لِمَا طَلَبَهُ مِنْهُمْ وَأَنْكَرَهُ عَلَيْهِمْ⁽¹⁾، وفي التَّعبير بما سُمِّيَ جوابًا تَهَكُّمٌ بِهِمْ، وكَشَفٌ عن عَجْزِهِمْ، إذِ الْجَوَابُ هُوَ الْكَلَامُ الَّذِي يُقَابَلُ بِهِ كَلَامٌ آخَرُ تَقْرِيرًا، أَوْ رَدًّا، أَوْ جَزَاءً⁽²⁾.

سُرُّ التَّعْبِيرِ بِأَسْلُوبِ الْقَصْرِ بـ (ما) و(إِلَّا):

أَسْلُوبُ الْحَصْرِ بِطَرِيقِ النَّفْيِ وَالِاسْتِثْنَاءِ، مِمَّا يُسَلِّكُ مَعَ مُخَاطَبٍ مُرْتَكِبٍ لِلخَطَا فِي اعْتِقَادِهِ مَعَ إِصْرَارٍ عَلَيْهِ⁽³⁾، وفي انْحِصَارِ جَوَابِهِمْ فِيمَا لَا يَعِدُّ جَوَابًا بِأَسْلُوبِ الْقَصْرِ، بَيَانٌ عن عَجْزِهِمْ، فَلَيْسَ الْمَقْصُودُ بِالْحَصْرِ هُنَا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَوَابٌ سِوَى هَذَا الْجَوَابِ، بَلِ الْمَقْصُودُ بِالْحَصْرِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ أَيُّ جَوَابٍ عَلَى إِنْكَارِ لُوطٍ عَلَيْهِمْ، فَحَصَرَ جَوَابَ قَوْمِهِ فِي مُقَابِلِ سَوَالِ الْإِنْكَارِ لِلتَّعْجِيبِ مِنْ أَمْرِهِمْ وَالتَّوْبِيخِ عَلَى قَوْلِهِمْ، إِذْ جَعَلُوا أَمْرَهُمْ بِإِخْرَاجِ لُوطٍ وَقَوْمِهِ جَوَابًا لِلْإِنْكَارِ عَلَيْهِمْ، وَلَيْسَ هَذَا هُوَ الْقَوْلُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ جَوَابًا فِي الْحِجَاجِ⁽⁴⁾، وَكَانَ مُقْتَضَى الْجَوَابِ أَنْ يَقْرَؤُوا بِأَنَّ إِيْتِيَانَ الرِّجَالِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، فَاحْشَةَ أَوْ غَيْرَ فَاحْشَةٍ، أَوْ يَمْتَثِلُونَ، لَكِنْ إِيْثَابَ هَذَا الْجَوَابِ دَلٌّ عَلَى شِدَّةِ ضَيْقِهِمْ مِنْ مَجَرَّدِ السَّوَالِ عَنِ الْفِعْلِ، وَعَنْ كَوْنِهِ فَاحْشَةً.

مُنَاسَبَةُ التَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ:

قُدِّمَ خَبْرُ كَانَ عَلَى اسْمِهَا فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾؛ لِنُكْتَةِ بِلَاغِيَّةٍ، وَبَيَانُهَا أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْأَصْلُ فِي الْمَبْتَدَأِ أَنْ يَكُونَ أَعْرَفَ فِي الْأَسْمِيَّةِ، دَلٌّ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُمُ الَّذِي قَالُوهُ، هُوَ الْمَعْرُوفُ عَنْهُمْ مِنْ أَفْعَالِهِمُ الَّتِي اشتهَرُوا بِهَا؛ لِاعْتِيَادِهِمْ

مخالفة جواب قوم لوط لكل فطرة سليمة

اعتیاد قوم لوط علی الفسوق و اشتہارہم بہ، خزی و ہوان

(1) الْكَشَاف: 2/126، وَالْبَيْضَاوِي: 3/22، وَفَتْحُ الْقَدِيرِ: 2/253.

(2) ابْنُ عَاشُور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 8/324.

(3) السَّكَاكِي، مِفْتَاحُ الْعُلُومِ، ص: 294 - 295.

(4) رَشِيدُ رِضَا، تَفْسِيرُ النَّارِ: 8/455.

على الفسوق والفجور ومنافرتهم للطباع السليمة، فجاء ﴿جَوَابُ قَوْمِهِ﴾ خبراً؛ ليفيد فائدة مُتجدِّدة، بمعنى: أنَّ قولهم جوابٌ وردَّ على قول لوطٍ ﷺ، كما أنَّ في تأخير المبتدأ إلماعاً إلى عدم الاعتداد به، وأنَّ العناية انصبَّت على أيِّ جوابٍ ولو صورة جواب.

نكتة إسناد الجواب إلى القوم كلهم:

عُبرَ بالقوم على سبيل المجاز المرسل بعلاقة الكليَّة في قوله: ﴿قَوْمُهُ﴾، وهو هنا ذكر القوم كلهم، مع أنَّ الجواب كان من الملام المستكبرين فقط؛ للإيذان بنفاذ كلامهم في الأمر والنهي⁽¹⁾، ففي التعبير بالكل عن الجزء إشعارٌ بأنَّ التابع يُعاملُ معاملة المتبوع، وفيه أيضاً نعيٌّ على التقليد.

دلالة الإضافة في قوله: ﴿قَوْمِهِ﴾:

تلمعُ الإضافة إلى تحسيرهم وتنديمهم، إذ لم ينتفعوا بصلة القربى؛ لأنَّ أخوفَ القوم على القوم من كان منهم، لا من غيرهم، وأنَّه أصدقُ نصحاً.

دلالة الإضافة في قوله: ﴿فَرَيْتَكُمْ﴾:

في هذه الإضافة إلماعٌ إلى المفاصلة، وإلى تخصيص الوطن بالمسرفين في الفاحشة، وبلوغ الضيق بالناهين أعلى مبلغ، وفيها تحريضٌ بالغٌ وتسبيبٌ للإخراج أنَّ ناهيهم عن الفاحشة ليسوا من بني وطنهم، كما أشعرت الإضافة المفيدة للتخصيص بافتخار قوم لوطٍ بقريتهم بما فيها من القبائح زيادةً في تقبيح حالهم.

سرُّ ختم الآية، بجملة: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾:

وقعت الجملة ممَّا قبلها موقع التعليل، بمعنى بيان سبب الأمر بإخراجهم؛ أي: وتعليل ذلك هو أنَّهم أناسٌ يتطهَّرون، ويتنزهون

معاملةً للموافق
على النكـر
معاملةً فاعليـه

مقتضى الصلة
والقربابة النفع
والانتفاع

التمسك
بالمعصية يفضي
إلى الظلم البين

الإخراج من
الوطن أبلغ
جرم، ولا بدَّ له
من علة

(1) القونوي، حاشية على تفسير البيضاوي: 8/435.

عن مشاركتهم في رجسهم⁽¹⁾، وفي هذه الجملة تحريض للقوم على التعاون في إخراج لوط وأهله.

بلادة الكناية في قوله: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾:

في الكلام معنى الكناية، مع إرادة المعنى اللازم والملزوم، وبيانه أن لوطاً وأهله لما كانوا يتنزهون عن مشاركتهم في الفعل القبيح، لزم من تنزههم أنهم لا يوافقونهم على ما هم عليه، ومن لا يوافقهم، وجب أن يخرجوه، فلا سبيل إلى معاشرتهم ولا مساكنتهم مع هذه المبينة⁽²⁾، وفي التعبير أيضاً كناية عن سُخْرِيَةِ المنغمسين في رذيلة اللواط من لوط ﷺ، ومن آمن به، والافتخار بما هم عليه من القذارة، كما هو ديدن الشُّطَار والدُّعَار، الذين لا وازع لهم ولا خلق ولادين.

تنزيل غير الشاك منزلة الشاك:

في قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾، المخاطبون بهذا الخطاب هم أهل الفاحشة من قوم لوط، وهم لا يُقَرِّون بأن فعلهم قبيح، وأن لائمهم عليه رأيه صحيح، فكان الظاهر أن تَعَرَّى العبارة من التوكيد المُعَبَّر عنه بياناً واسميّة الجملة، وهذا ممّا يكشف عن أنهم توهّموا أن من يكون معهم، ينبغي أن يفعل مثل فعلهم، فظنّوا لقبحهم، وسوء سريرتهم، أن لا يقع من أي أحد مخالفة لما هم عليه، فجاء الخبر مؤكّداً، فكأن تنزه الناس عن فعلتهم يبعد مثله في الظن، وأنه قد جرت عادة القوم بخلاف التطهر، والتنزه عن الفاحشة القبيحة التي اعتادوها.

نكتة التعبير بلفظ ﴿أَنَاسٌ﴾:

في قوله: ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ عبّر بلفظ اسم الجمع ﴿أَنَاسٌ﴾ الذي لا واحد له من لفظه؛ للإشعار بأنهم ضعفاء، لقلة عددهم

التنزه عن المشاركة في المعاصي، يدل على عدم الموافقة على فعلها

إزالة آية شبيهة ترد على التعليل طريق التأكيد

قلة طائفة المؤمنين لا يعني ضعف إيمانهم

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 316 - 323، وأبو حيان، البحر المحيط: 5/102، والبقاعي، نظم الدرر: 7/456.

(2) أبو حيان، البحر المحيط: 5/102، ورشيد رضا، تفسير المنار: 8/455.

وعدَّتْهم⁽¹⁾، وغالبًا ما تكون الأغلبية الضَّالَّةُ، تنظرُ إلى الأقلية المصلحة نظرةً ازدراءٍ وانتقاصٍ، ويسلقونهم بالسَّنةِ حدادٍ، أشجَّةٍ على الخير، ويرون طهرهم مانعًا من شيوع الفاحشة التي يريدون أن تنتشر، حتَّى تلبي لهم ذلك السُّعار المحموم، الذي يريدونه فاشيًا وعامًّا، فيشبعون نهمهم لذلك الشذوذ البشع، الذي هو آفة هؤلاء القوم، وأسُّ بلائهم ومصيبتهم العظمى، التي أصابتهم في الصِّميم، والمصيبة إذا عمَّت هانت.

نكتة التعبير بلفظ ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾:

ترك القبايح
تطهروا وكمال
للإنسان،
والعيب بغير
عيب بهتان
وهوان

في التعبير بلفظ ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ فوائد لغوية وبلاغية متنوعة، منها⁽²⁾؛ أولاً: أن ذلك الفعل القبيح تصرفٌ في موضع النجاسة، فمن تركه فقد تطهر. ثانياً: أن البعد عن الإثم يسمى طهارةً، والمعنى: يتباعدون عن المعاصي والآثام. ثالثاً: وصفهم بالتطهر يُمكن أن يكون على حقيقته، وأنهم أرادوا أن هؤلاء يتزَّهون عن الوقوع في هذه الفاحشة، فلا يساكنونا في قرينتنا، فإنَّ التطهر صفة كمال، ولأنَّ القوم تمرَّدوا على الفسوق عدَّوا الكمال منافراً لطباعهم، فلا يطبقون معاشرَةَ أهل الكمال، ويَحْتَمِلُ أنَّهم قالوا ذلك على طريق التَّهْكُم والسُّخْرِيَّة والاستهزاء، بتطهرهم من الفواحش، وافتخاراً بما كانوا فيه من القذارة، كما يقول بعضُ الفسقة لبعضِ الصُّلحاء إذا وعظهم: أبعادوا عنا هذا المتقشِّف، وأريحونا من هذا المتزهد. رابعاً: إنَّ وصفهم بقوله: ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾، لما جاء على سبيل الذمِّ كانوا قد عابوهم بغير عيب، وذمُّوهم بغير ذمٍّ. خامساً: في الوصف بالفعل ﴿يَتَطَهَّرُونَ﴾ تعريضٌ بما يُوهِمُ الذمَّ، وهو مدحٌ، ففيه إشعارٌ بأنَّه إذا كان عندهم عيبٌ فهو تطهرهم، فإذا كان التطهر أقلَّ وصفٍ يتصفون

(1) البقاعي، نظم الدرر: 7/456.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 12/550، والزمخشري، الكشاف: 2/126، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب:

14/311، وفتح القدير: 2/253.

به، فأوصافُهم كلها محمودةٌ ممدوحةٌ⁽¹⁾. سادساً: لما كانت صيغةُ (يتطهَّر) أبلغ من (طهر)، دلَّ التعبيرُ بصيغةِ «يَتَطَهَّرُونَ» على عمومِ التَّطَهَّر؛ بمعنى: يتطهَّرون من إتيان الأدبار، ويتطهَّرون بإتيان النساءِ في موضعِ الطَّهر⁽²⁾، ويحتملُ أنَّهم قصدوا بصيغةِ التَّفْعُل معنى التَّكَلُّف؛ أي: نسبتهم إلى محبةِ هذا الفعلِ القبيح، وأنَّ تركهم له إنَّما هو تصنُّعٌ وتكليفٌ لنفوسهم، بردها عما هي مائلةٌ إليه، وأنَّ إقبالهم على الطَّهر وإظهاره، إنَّما هو رياءٌ، وذلك بما أشار إليه إظهار تاء التَّفعيل⁽³⁾. سابعاً: ثمَّ إنَّ التعبيرَ بالمضارع يدلُّ على التَّجَدُّد والحدوث.

المتشابه اللفظي:

وجهُ قوله في الأعراف: «وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ» منسوقاً بالواو، وفي النمل والعنكبوت: «فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ» بالفاء، مع أنَّ القصةَ واحدةً، فلا فرق بين الجوابين؟

مجيء كل لفظٍ
على ما يناسبُ
سياقه، في
متشابه الآية

والجواب: أنَّه حيث يرادُ مع (ما) سببيَّةٌ، أو ما يُشبهُ معنى المجاز، وكان الكلامُ المجاوبُ بصريحِ الفعل، إذ هو أوضحُ إحرازاً لهذا المعنى، فحيث يجيء هذا، فالوجه والأولى أن يترتَّبَ الجوابُ بالفاء، وسواءٌ تسبَّبَ عن الأول، أو أُقيمَ مقامَ ما تسبَّبَ عن الأول، مثالُ الجاري على طريقةِ السَّببيَّةِ قوله تعالى: «سُنْقِرْتُكَ فَلَا تَنْسَى» [الأعلى: 6]، وقوله: «فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ» [الأعراف: 64]، وهذا كثير، ومثالُ الثاني: «وَنُحِوِّلُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا ظُلْمًا كَبِيرًا» [الإسراء: 60]، وختام الآيتين في سورة النمل، بقوله: «وَأَنْتُمْ نُبْصِرُونَ» [النمل: 54]، و«بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ» [النمل: 55]، مُسَوِّغٌ لتقدير معنى السَّببيَّةِ، وأنسبُ لذلك من الواو، والختم في الأعراف، ليس في تقدير السَّببيَّةِ كالأول، فورد كلُّ على ما يقيويه السياق، ويشهدُ له المعنى⁽⁴⁾.

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 5/102.

(2) الماوردي، تفسير النكت والعيون: 2/237.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 7/456 - 457.

(4) الغرناطي، ملاك التأويل: 1/554 - 553.

وقال هنا في سورة الأعراف: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾، وقال في سورة النمل: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: 56]، فقال: ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾، وقال في سورة العنكبوت: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: 29]، فما هو سرُّ اختلاف العبارة في القصة نفسها؟

والجواب: أنه لما زيد في تعنيفهم في النمل، وتعريفهم بإتيانهم الفاحشة على علم بها، أو مع مشاهدة بعضهم بعضاً وعدم استخفافهم بها، وذلك أقبح في المرتكب فقال: ﴿وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [النمل: 54]، ونسبهم إلى الجهل في كل شيء، فقال: ﴿أَيُنْكِمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [النمل: 55]، فلما زيد في تعليل الإخراج نصٌّ على الآل؛ فقال: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: 56]؛ لأنَّ قوله: ﴿آلَ لُوطٍ﴾ أنص في إخراج جميع من للوط ﷺ من ذويه وأهله، من قوله: ﴿أَخْرِجُوهُمْ﴾؛ إذ جاءت زيادة التَّنْصِصِ الأعم، بإزاء الأزيد في التقرُّيع، وأمَّا في سورة العنكبوت فقد كان جاء جوابهم بقوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [العنكبوت: 29]، وهو أشدُّ حنقاً وأنص كذباً، ممَّا في سورتي الأعراف والنمل؛ لأنه لما عدَّد من قبائح مرتكباتهم في العنكبوت ماعدَّد، وزادهم في التقرُّيع بقوله: ﴿أَيُنْكِمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ [العنكبوت: 28]، كان تعدُّد مرتكباتهم أشدَّ توبيخاً وتقرُّيعاً عليهم، فلما استحکم حقهم، وطبَّع على قلوبهم، أتوه بأبلغ من هذا كذباً واستهزاءً، فقالوا: ﴿أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ﴾؛ إظهاراً لعنادهم وتكذيبهم، فاستعجلوا العذاب، وأمَّا في سورة الأعراف والنمل فقد جاء قولهم: ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾، و﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾؛ ليفهم من فحواه ما يستلزم إخراجهم من مجازاتهم على ذلك، فجعل نطقهم بالسبب نطقاً بالمسبَّب، فلما أوجز في سورة الأعراف والنمل أوجز في بيان العقوبة، وذكر ما يفهم من الفحوى، ولما فصل قبائحهم في سورة العنكبوت، وظهرت قبائح أسرارهم الموافقة لظواهرهم، طلبوا العذاب صراحةً، فجاء كلُّ لفظٍ على ما يجب من سياقه⁽¹⁾.

(1) الغرناطي، ملاك التأويل: 1/208، والبقاعي، نظم الدرر: 7/457.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم

الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 13، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 8-9948-768-09-978

يشتمل على ارجاعات ببلوجرافية.

مج. 13: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

التقييم الدولي: 8-9948-768-09-978

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»